وقعة الحرة وتأثيرها في أحداث المغرب والأندلس في عصر الولاة

د.امبارك محمد فرج كلية الآداب - جامعة سرت

أولا: المقدمـــــــــة:

أ صبحت المدينة بعد الهجرة النبوية قاعدة الدولة الإ سلامية، وا ستكملت بال صحيفة التي و ضعها الر سول ﷺ ثم بت شريع الجهاد أهم خ صائص الدولة، ثم أ صبحت في ع صر الخلافة الراشدة مقراً للخلافة الإسلامية إلى أن قامت الفتنة الكبرى وانتهت بقيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان الذي نقل مقر الخلافة إلى دم شق، حيث حمل أهل المدينة على البيعة بو لاية العهد لابنه يزيد، رغم استنكار أبناء الصحابة المعارضين لذلك.

وما أن تولى يزيد بن معاوية الخلافة الأموية سنة 60 هـ / 680 م حتى بدأت في المدينة حركة مناه ضة له، فقد ا شتد سخط أهل المدينة عليه لِما شملهم من جور عماله حيث أقدموا على خلع يزيد من الخلافة واختاروا الحرب وكانت موقعة الحرة وكثرت فيها المذابح وأثارت هذه المذابح في حواضر الحجاز موجة عارمة من الاستياء والغضب وقد مرت سنوات طويلة على مأ ساة الحرة دون أن تُمحى من ذاكرة أهل المدينة من قريش والأن صار مذابح ال شاميين في أهلها، وقد فُتحت بلاد المغرب كله في ع صر الوليد بن عبد الملك وا ستقر بها من أجناد العرب عنا صر معظمها فهرية من قريش ويمنية من الأن صار عُرفوا جميعاً بالبلديين، اعتبروا أنف سهم من أهل البلد، وكان العدد الأعظم منهم لا يحمل لل شاميين سوى الكراهية والبغ ضاء، فقد ارتبط في أذهانهم بالغدر والقتل و سفك الدماء، وكانت واقعة الحرة ماثلة في مخيلتهم وكان من يتولى المغرب من الولاة ليس همهم سوى إر ضاء الخليفة بالهدايا والتحف والإماء على ح ساب الأهالي، و ساءت سيرتهم في البربر والتعدي على أرزاقهم بل حتى على ن سائهم، والفتك بقطعان أغنامهم.

فكان من الطبيعي أن ينقم البربر على العرب لا سيما بعد أن ت سلل إليهم فكر الخوارج فقامت ثورات البربر على العرب وقامت معارك كثيرة أهمها موقعة الأشـــراف التي قُتِلَ فيها عدد كبير من العرب وال سبب الخلاف بين العرب أنف سهم؛ بين الأمويين وعنا صر من الفهرية من

قريش ويمنية من الأنصـــار الذين عُرفوا جميعاً بالبلديين بســـبب ما حملوه على الأمويين من أحقاد نتيجة وقعة الحرة وما تلاها من مذابح فتفرقت كلمتهم فا ستغل ذلك البربر وهذا كله أثر وقعة الحرة في أحداث بلاد المغرب والأندلس.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع (التعريف بالمشكلة):

تحتاج أمور كثيرة في تاريخنا الإســـلامي إلى تظافر جهود الباحثين لإعطائها الوضـــوح المطلوب، لتكتمل صورة التراث والماضي بمختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ويرجع اختياري لهذا الموضوع إلى توضيح صورة من صور الصراع على السلطة والحكم بين الحجازيين والأمويين الذي أدى إلى خلاف كان ســـبباً في الهزيمة أمام البربر في بلاد المغرب، فقد مرت سنوات طويلة على حادثة الحرة دون أن تُمحا من ذاكرتهم، فكانوا يحملون الكراهية والبغضاء، فارتبطوا في أذهانهم أي الأمويين ومن معهم من أهل الشام، بالغدر والقتل وســـفك الدماء، فكانت الواقعة ما تزال ماثلة في مخيلاتهم، كذلك من ضـــمن أســـباب اختيار الموضوع كما أسلفت إنما يؤكد على الوحدة والتماسك لقهر العدو وما أحوجنا اليوم في بلادنا إلى نبذ الفرقة والاقتتال وخير مثال لبلادي هذا الموضوع، إذاً هذا الموضوع موجه إلى أبناء بلادي للتمسك بوحدة البلاد ولم الشمل.

ثالثا: أهمية الموضوع:

تبدو أهمية موضوع واقعة الحرة وتأثيرها في أحداث المغرب والأندلس في عصر الولاة إلى أن جذور الخلاف بين الحجازيين والأمويين يعود إلى عدة أسباب لعل أهمها ما أحدثه معاوية من تغيير في منهجية الحكم. فإن الكثيرين من الصحابة والتابعين في المدينتين المقدستين، مكة والمدينة، كانت نقمتهم على نظام معاوية الوراثي ذات دلالة خاصـــة، حيث اعتبروا عمل معاوية في تحويل نظام الخلافة عن طابعه الراشـــدي بدعة تُناقض منهج الراشـــدين وطبيعة الخلافة، وأيضاً معارضة بعض الفئات من السكان المدنيين، مكة والمدينة، النظام الأموي

لأ سباب سيا سية واجتماعية، فمن الناحية الـ سيا سية كان طموح بعض أبناء الـ صحابة إلى الخلافة، كعبد الله ابن الزبير، سبباً في سلوك النهج المعارض.

ومن الناحية الاجتماعية فإن انتقال مركز الخلافة من المدينة إلى دم شق قد أفقد الأولى مكانتها المركزية في العالم الإ سلامي، وأفقد أغنياء الحجاز منافع كثيرة كانوا يجنونها من تلك المكانة المفقودة، كما شل ن شاطهم الاقت صادي والـ سيا سي وجعلهم في عزلة من المـ سرح الـ سيا سي والاجتماعي.

أن يعتبر هذا الموضوع من المواضيع التي تحدَّث فيها الكثير من الباحثين كلاً حسب منهجيته في الكتابة وذلك لتركيز المؤرخين القدامى واهتمامهم وعنايتهم بالتاريخ الـسيا سي والعسكري، والذي أظهر وللأ سف أن التاريخ العربي الإ سلامي وكأنه سل سلة من الـ صراعات وعدم التجانس.

كما نتناول هذا المو ضوع، مما يؤكد في باطنه على الوحدة والتما سك لقهر العدو فقد أظهرنا في هذا البحث سبب هزيمة العرب أمام البربر إنما كان الاختلاف منهم فأدى إلى هلاكهم.

رابعاً: أهداف البحث:

من أهداف البحث معرفة عدم تقبل النظام الوراثي في الحكم الذي سنه الخليفة معاوية ابن أبي سفيان الذي ناقض النهج الراشدي وطبيعة الخلافة. كذلك من ضمن أهداف الدراسة معرفة الـ سبب الرئي سي لخروج أهل المدينة على حكم يزيد بن معاوية، وهل كان طموح بعض أبناء الصحابة إلى الخلافة سبباً في سلوك النهج المعارض، أم أن هناك أسباب أخرى، ولماذا كانت ردة فعل يزيد بن معاوية عنيفة على معار ضيه أي أهل المدينة، حيث قيل أنه ا ستباحها ثلاثة أيام.

كذلك من أهداف الدراسة إبراز استيطان القبائل التي خرجت من الفهريين من قريش ومن اليمنيين من الأنصـــار بعد وقعة الحرة في بلاد المغرب والذين عرفوا بالبلديين بين الســـكان الأصليين لبلاد المغرب وما حملوه من أحقاد وبعض الأمويين لسنوات طويلة. أيضاً من ضمن أهداف البحث معرفة الانقســـام والخلاف بين العرب في بلاد المغرب (الأمويين ، الحجازيين)

والذي أدى إلى هزيمتهم أمام البربر وأثر وقعة الحرة في ذلك والنتائج التي ترتبت على هذا الانقسام.

خامساً: نطاق البحث مكاناً وزماناً:

إن موضوع وقعة الحرة وتأثيرها في أحداث المغرب والأندلس في عصر الولاة يمتد مكاناً من شـــبه الجزيرة العربية إلى بلاد المغرب والأندلس. أما نطاق البحث الزمني فيشـــمل فترة الدولة الأموية وما عرف في بلاد المغرب والأندلس بعصـــر الولاة وهي فترة تكوين الأمة، حيث ساد العنصر العربي في الحكم.

سادساً: منهج البحث:

اعتمدتُ في دراسة هذا الموضوع، المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليل، وهو تتبع الموضوع عن طريق جمع المعلومات والحقائق ومن ثم فحصها، ونقدها، والتأكد من صحتها، وعرضها، وتنظيمها وترتيبها، وتفسيرها، واستخلاص النتائج والتقييمات. أما المنهج الوصفي التحليلي فيركز على الملاحظة والتحليل للمادة التاريخية، فالمنهج الوصفي التحليلي يجيب على التساؤل: كيف حدث؟ فهو منهج يتعمق في الأحداث ويحاول الكشف عن محركاتها.

سابعاً: الدراسات السابقة:

لقد تحدث عن هذا الموضوع الكثير من الباحثين، كلاً حسب وجهة نظره، فقد تناول واقعة لوحده، أي واقعة الحرة عند الحديث عن تاريخ الدولة الأموية وأحداث بلاد المغرب، إلا أن هناك بحثاً قُدِّم من الدكتور السيد عبد العزيز سالم، عنوانه وقعة الحرة وأصداؤها في حوادث المغرب، حيث اطلعت عليه واســـتفدت منه في عدة جوانب من البحث كانت لها قيمة في أثر الموضوع. كما تناول هذا الموضوع خاصةً أحداث بلاد المغرب في عصر الولاة الدكتور إبراهيم بيضـــون في كتابه "الدولة العربية في أســـبانيا"، والدكتور عبد المجيد نعنعي في كتابه "الدولة الأموية في الأندلس" والدكتور حسين مؤنس في كتابه "تاريخ المغرب وحضارته".

وقد أخذت من هذه الدراســـة وغيرها في محاولة لتجاوز بعض النقاط التي وقفت عندها حتى أصل إلى لملمة الموضوع في صورته النهائية.

ثامناً: خطة البحث:

البحث يتكون من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

– ففي المبحث الأول تناولنا التعريف بأرض الحرة وماذا تعني كلمة الحرة وعددها في بلاد العرب وأسماؤها وطبيعتها.

– أما المبحث الثاني فكان عن تولي يزيد ابن معاوية الخلافة وظهور الخلافات بينه وبين الحجازيين مما أدى إلى واقعة الحرة والنتائج التي ترتبت على هذه الخلافات.

– أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه أحداث بلاد المغرب في عصـــر الولاة وأثر وقعة الحرة على هزيمة العرب أمام البربر.

المبحث الأول: التعريف بأرض الحرة

الحَرة أرض ذات حجارة ســـود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والجمع الحَرّات والحرار، وتكون الحرة مـ ستديرة فإذا كان فيها شيءٌ مـ ستطيل ليس بوا سع فذلك الكراع واللابة[1]، أي الحمم التي كانت تقذفها البراكين، فتســـيل إلى الأطراف ثم تبرد وتتفتت بفعل التقلبات الجوية، فتكون ركاماً من الحجارة البركانية يغطي الأرض بطبقات، قد تكون سميكة، وقد تكون رقيقة، تتبعثر فيظهر من خلال فجواتها وجه الأرض الأصلية. وفي مثل هذه الأرضين يصعب السير لانتشار الحجارة ذات الرؤوس الحادة فيها.[2] والحرار في بلاد العرب كثيرة تبتدئ من شرقيّ حوران وتمتد منتشرة إلى المدينة، وتقع المدينة نفسها بين حرّتين؛ وهما حرة واقم في الشرق من المدينة والأخرى غرب المدينة تُعرف بحرة الوبرة،[3] غير أن حرة واقم التي تنتسب إليها

([1]) الحموى، شهاب الدين ابى عبداللة ياقوت، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ت، مج2، ص245.

([2]) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1976 م، ج1، ص145، ص146.

([3]) أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي ، بيروت– لبنان، 1975 م، ص2.

الوقعة كانت من أشهر حرات بلاد العرب، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وقيل اسمه آطم من آطم بني عبد الأشهل تضاف إليه الحرة. [4]

أما الحرة الغربية فتقع على بعد ثلاثة أميال غربي المدينة بحيث تشرف على وادي العقيق وهو وادٍ خصب كثير المياه والآبار والعيون الذي يليها غرباً. [5]

وكانت حرة واقم في زمن الهجرة النبوية أكثر عمراناً من حرة الوبرة، وأصبحت بعد قيام دولة الرسول ﷺ في المدينة دار حرب عندما حاصر النبي محمد ﷺ يهود بني النظير حتى أجلاهم، ثم يهود بني قريضة حتى قضى عليهم. [6]

أصبحت المدينة بعد الهجرة النبوية قاعدة الدولة الإسلامية، واستكملت بالصحيفة التي وضعها الرسول ﷺ التي أصبحت الدستور الدائم ليس فقط بين جماعة المؤمنين بعضهم البعض، ولكن بينهم وبين جيرانهم من أهل المدينة أيضاً. وصار هذا الدستور أساس الدولة الإسلامية الوليدة، وأهم ينبوع من ينابيع النظم الإسلامية. [7] ثم أصبحت في عصر الخلافة الراشدة مقراً للخلافة الإسلامية إلى أن قامت الفتنة الكبرى التي أطاحت بعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ﷺ، وانتهت بقيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان، وقد نقل عاصمة خلافته إلى دمشق، إلا أن المدينة احتفظت بمكانتها الروحية، وقد نجح معاوية بن أبي

([4]) الحموي، المصدر السابق، مج2، ص249.– السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، د.ط، القاهرة، 1326 ه، جـ2، ص289.

([5]) السمهودي، المصدر نفسه، جـ1، ص290.

– الحموي، المصدر السابق، مج2، ص250.

([6]) سالم، السيد عبد العزيز، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1991 م، القسم الأول، ص335.

– الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسوم (صلى)، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة –مصر، 2003، ص388، ص392

([7]) العدوي، إبراهيم أحمد، النظم الإسلامية، د. ط، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر – القاهرة، د.ت، ص117.– الشريف، احمد ابراهيم، المرجع السابق، ص385.

سـفيان في حمل المدينة على البيعة بولاية العهد لابنه يزيد، على الرغم من استنكار أبناء الصحابة المعارضين لذلك. [8]

المبحث الثاني: تولي يزيد بن معاوية الخلافة وظهور الخلافات:

وما إن تولى يزيد بن معاوية الخلافة الأموية في سنة 60 هـ /680 م حتى واجهته ثلاث قضايا على جانب كبير من الخطورة تمثلت الأولى بخروج الحسين بن علي إلى الكوفة تلبية لدعوة أهلها ليقودهم ضد الحكم الأموي، في حين تمثلت الثانية بخروج أهل المدينة على حكمه والتي نحن بصدد البحث فيها، والثالثة تمثلت بقيام ابن الزبير في مكة. [9]

اشتدّ سخط أهل المدينة عليه لما شملهم من جور عماله، وإقدام عبيد الله بن زياد عامله على البصرة والكوفة على قتل الحسين بن علي وأصحابه في كربلاء في العاشر من محرم سنة 61 هـ/680 م، [10] لِما أحسوه من حجم الاستبداد والتسلط الذي بدأت تمارسه الدولة، الأمر الذي جعل الناس في الحجاز يتعاطفون مع ابن الزبير، في الوقت الذي لم يحاكم يزيد عبيد الله بن زياد كأحد المسؤولين المباشرين عن الجريمة التي لحقت بالحسين وأهله في كربلاء، واعتبر الناس هذا التصرف محاباة لابن زياد من قبل ابن عمه يزيد بن معاوية. ومما لا شك فيه أن مقتل الحسين بن علي ومن معه بتلك الصورة قد أهاج الناس جميعاً، وولّد لديهم شعوراً بالحزن والاسى العميقين على فقدانه بتلك الطريقة البشعة. [11]

فقام يزيد بن معاوية بعزل واليه على المدينة وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، واستعمل عليها عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق فقدم إليها في رمضان سنة 60 هـ/680 م ولم تطل ولايته، فقد عزله يزيد في عام 61 هـ/681 م لأن أهل مكة بايعوا عبد الله بن

([8]) سالم، السيد عبد العزيز، المرجع السابق، القسم الأول، ص335.

([9]) ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، د. ط، دار المعرفة، بيروت– لبنان، د.ت، ج2، ص3 ،ص 4.

([10]) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، د. ط، دار سويدان، بيروت – لبنان، د.ت، ج5، ص400. – ابن قتيبة، المصدر السابق، ج2، ص6.

([11]) الصلابي، علي محمد ، الدولة الأموية، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة – مصر، 2007 م، ج1، ص533.

الزبير بعد ا ستـ شهاد الحـ سين بن علي، [12] وولاها للوليد بن عتبة مرة أخرى، ثم خلعه بعد شهور قليلة من ولايته عندما خاطبه ابن الزبير يدعوه إلى عزله لا ستبداده برأيه، ويـ سأله أن يبعث إليهم رجلاً سهل الخلق، لين الكتف، ليسهل من الأمور ما استوعر منها.[13] فولى المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وكان فتى غر حدث غمر لم يجرب الأمور، ولم يحنكه السن، ولم تضرسه التجارب، وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله.[14] وهو شخصية مرنة، فقد اســـتهل عهده بالإحســـان إلى المذنبين وأراد والي المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان أن يثبت ولاء أهل المدينة ليزيد بن معاوية، فاختار منها وفداً وأرسلهم إلى دمشق، فلما قدموا على يزيد أكرم وفادتهم، وأحســـن إليهم، وأعظم جوائزهم، وأجزل عطاءهم، وكان في وفد المدينة عبد الله بن حنظلة الغســـيل الأنصـــاري، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير، ورجال كثير من أشراف أهل المدينة، فأعطى عبد الله بن حنظلة مائة ألف درهم، كما أعطى لكل ولد من أبنائه الثمانية المرافقين له عشـــرة آلاف، كما أعطى المنذر بن الزبير مائة ألف أخرى وبعد أن أخذوا جوائزهم انصـــرفوا إلى المدينة، وهناك اجتمعوا في م سجد المدينة الجامع، ونددوا بيزيد بن معاوية، فقبحوا سلوكه، و سبوه، وأكثروا من شتمه، وأبرزوا عيوبه ونقائ صه، وقالوا: "**إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يـ شرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويـ ضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويـ سامر الخراب والفتيان، وإنا نـ شهدكم أنا قد خلعناه**" [15] فتابعهم الناس حيث يقول كل رجل منهم: "**قد خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي هذه، ويلقيها عن رأســـه**" ويقول الآخر: "**قد خلعته كما خلعت نعلي هذه**" حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال، [16] وكان من بين المحر ضين على الثورة

([12]) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أحمد، الكامل في التاريخ، د. ط، دار صادر، بيروت – لبنان، 1979، ج4، ص18، ص98.

([13]) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص479.

([14]) الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص479.

([15]) الطبري، المصدر نفسه، ج5، ص480.

– بن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، د. ط، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1993 م، ص181.

([16]) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط1، دار الريان ، د.ن ،1988 ج11، ص624، ص625.

على يزيد بن معاوية والمطالبة بخلعه عبد الله ابن مطيع العدوي، فأرسل يزيد بن معاوية النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة يُهدئ من ثائرة قومه أهل المدينة، وأقبل على قومه واجتمع بهم ونصحهم بالتزام الطاعة، وحذرهم من عواقب الفتنة، وقال لهم لا طاقة لكم بأهل الشام. [17] ولكنهم لم يستجيبوا لو ساطته ونصحه، وأقدموا على خلع يزيد بن معاوية وأخرج أهل المدينة عامله عثمان بن محمد من المدينة كما أخرجوا مروان بن الحكم و سائر بني أمية، وبلغ الأمر يزيد بن معاوية، وعلم بما كان من أهل المدينة من خلعه، والميل إلى ابن الزبير، فأعد جيشاً لغزو المدينة أسند قيادته لمسلم بن عقبة المريّ. [18]

حيث بايع أهل المدينة عبد الله بن حنظلة الغسيل، فكان على قريش عبد الله بن مطيع العدوي، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة الغسيل، وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعي. [19]

وفي رواية أخرى أن بني أمية اجتمعوا وعدتهم نحو ألف رجل من دار مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم، أما علي بن الحسين **(زين العابدين)** وعبد الله بن عمر بن الخطاب، فقد رفضا وذويهما مشاركة أهل المدينة في خلعه، واضطر الأمويون المقيمون فيها إلى الاجتماع في دار مروان بن الحكم، ولما طال حصار أهل المدينة لبني أمية كتبوا إلى يزيد بن معاوية يستغيثون به ويذكرون له ما هم فيه من الحصار والعطش، ويستحثونه على المبادرة بإنقاذهم، ويبدو أن الحصار كان ضعيفاً، وأن الثائرين، على الرغم من سخطهم، كانوا يفتقرون إلى التنظيم والوحدة، ووصل الخبر إلى يزيد بن معاوية، فأمر عمرو بن سعيد بن

([17]) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص481.

([18]) ابن الخياط، خليفة، المصدرالسابق، ص181، ص182.

– اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، د. ط، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ت، مج2، ص250.

– المسعودي، الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، ط5، دار الأندلس، بيروت – لبنان، 1983 م، ج3، ص69.

([19]) الدينوري، أبي حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2001، ص391.

– الطبري، المصدر السابق، ج5، ص 487.

– ابن الخياط، خليفة، المصدر السابق، ص181.

العاص بالخروج على رأس حملة على المدينة ومحاصـــرة ابن الزبير في مكة، فرفض ذلك واعتذر عن عدم اســتعداده لإراقة مزيد من دماء قريش، فبعث إلى عبيد الله بن زياد لرد أهل المدينة إلى الطاعة ثم يغزو ابن الزبير، فقال: "**لا أجمعهما للفاسق أبداً، أقتلُ ابن بنت الرسول ﷺ وأغزو البيت!** " [20] ثم استقر الرأي على مسلم بن عقبة المري فقيل أن معاوية أوصى يزيد ابنه أنْ رابك من قومك ريب، أو تنقص عليك فيهم أحد، فعليك بأعور بني مرة، وهو مسلم بن عقبة المري. [21] الذي عرف فيما بعد بم سرف دماء أهل المدينة، فلم يتردد م سلم في طلب يزيد رغم مرضـــه، فنادى في الناس بالتجهيز إلى الحجاز، وأن يأخذوا عطاءهم ونفقة قدرها مائة دينار، وانتدب لذلك قيل خم سة آلاف، [22] وقيل ع شرة آلاف، [23] وقيل اثنا ع شر ألفاً، [24] فاجتمع الجيش، وهمَّ مســـلم بن عقبة أن ينطلق بهم إلى المدينة، فقال له يزيد: "**اُدعُ القوم ثلاثاً، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل وكف عنهم، وإلا فاســـتعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرتَ عليهم فاســـتبح المدينة ثلاثاً، ثم اكفف عن الناس**" وأمره بعد فراغ من المدينة أن يذهب لحصار ابن الزبير في مكة وقال له: "**فإن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمي ـــ ـــ ـــر السكـــــــــوني**". [25]

قاد م سلم بن عقبة جي شه الذي سيحارب أهل المدينة، فجعل على أهل دم شق عبد الله بن م سعدة الفزاري، وعلى أهل حمص ح صين بن نمير الـ سكوني، وعلى أهل الأردن حبيش بن دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجذمي، وشريك الكناني، وعلى أهل قنسرين زفر بن الحارث الكلابي وقيل طريف بن الحســـاس الهلالي، وعليهم جميعاً مســـلم بن عقبة

([20]) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص483، ص484.
– ابن الطقطقا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص116.
([21]) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج2، ص7.
([22]) اليعقوبي، المصدر السابق، مج2، ص250.
([23]) ابن كثير، المصدر السابق، ج8، ص218.
([24]) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص112.
([25]) ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص617.
– ابن خياط، خليفة، المصدر السابق، ص182.
– الطبري، المصدر السابق، ج5، ص484.

المريّ، [26] وسار مسلم بن عقبة بالجيش باتجاه المدينة فلما سمع أهل المدينة بالخبر شددوا في حصار بني أمية ولم يفكوا عنهم الحصار إلا بعد أن عاهدوهم أن لا يدلوا لهم على عورة، ولا يظاهروا عليهم عدواً، فعاهدوهم على ذلك فرفعوا عنهم وأخرجوهم من المدينة فالتقوا وهم في طريقهم إلى الشام مسلما بوادي القرى فدعا بعمرو بن عثمان يسأله عن المدينة فلم يخبره وقال له أخذت علينا المواثيق والعهود أن لا ندل على عورة ولا نظاهر عدواً فانتهره، ثم دخل عليه عبد الملك بن مروان فد صحه بأن يدخل المدينة من جهة جانبها الـ شرقي أي من جهة الحرة، يستقبل رجاله أهل المدينة وأشعة الشمس من ورائهم لا تؤذيهم فاتبع مسلم بن عقبة نصيحته، وأتى المدينة من جهة الشـــرق، ودعا أهلها إلى الدخول في الطاعة، وأمهلهم ثلاثة أيام، فلما انتهت المهلة اختار أهل المدينة الحرب. [27]

وقد استعد أهل المدينة لذلك حيث حفروا خندقاً يحيط بها من جميع نواحيها وجعلوا لحمايته جماعة منهم. [28] ووزعوا أنفسهم على جوانب المدينة الأربعة فمنهم عبد الرحمن بن زهير بن عوف في جمع عظيم، وعبد الله بن مطيع على ربع آخر على قريش في جانب المدينة ومعقل بن ســـنان الأشـــجعي على ربع المهاجرين، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغســـيل الأنـ صاري، في أعظم تلك الأربع وأكثرها عدداً من الأنـ صار. [29] وأقبلت عـ ساكر الـ شام من ناحية الحرة وعسكروا بالجرف في 27 من ذي الحجة سنة63هـ/ 683 م، وأحدقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون منفذاً يدخلون منه، وكان أهل المدينة قد قاموا على أفواه الخنادق ملبـ سين بالـ سلاح، فجعل الناس يرمون عـ سكر الـ شام بالحجارة والنبال من فوق الآكام والبيوت. ولما

([26]) اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص251.
– ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص616.
– الدينوري، أبو حنيفة، المصدر السابق، ص390.
([27]) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص486، ص487.
([28]) ابن قتيبة، المصدر السابق، ح1، ص179، ص180.
– الدينوري، أبو حنيفة، المصدر السابق، ص392.
– الطبري، المصدر السابق، ج5، ص487.
([29]) الطبري، المصدر نفسة، ج5، ص487.
– المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص69.
– اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص251.

ا ستع صى على م سلم بن عقبة اقتحام المدينة لجأ مروان بن الحكم إلى الحيلة، فاحتال على بع ضهم وخدعه، فدخل ومعه مائة فارس، فاتبعه الفر سان، فدخلوا المدينة من ناحية الطورين، وا شتبكوا مع أهل المدينة، [30] وكان عبد الله بن حنظلة يحض أ صحابه على القتال، حتى قتل وحز رأسه وأحضروه إلى المسرف، [31] فانهزم أهل المدينة وقتل عدد كثير من الناس من بني ها شم و سائر قريش والأن صار وغيرهم من سائر الناس. [32] فقيل قتل من قريش بـ ضع وت سعون رجلاً ومثلهم من الأن صار، وأربعة آلاف من سار الناس، وقد قتل في هذه المعركة عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، وكان من بين القتلى سبعمائة من حفظة القرآن الكريم.

وجالت خيول أهل الشـــام تقتل وتنهب في أهل المدينة فاســـتباحها ثلاثة أيام بلياليها، ثم أمسكوا بعد ذلك، [33] ومنذ ذلك الحين عرف مسلمة بن عقبة بمسرف. [34]

وجلس م سلم بن عقبة، فدعا الناجين من أهل المدينة إلى البيعة على أنهم فيء وعبيد ليزيد بن معاوية يفعل في أموالهم وذرياتهم ما يشـــاء، فبايع الناس على أنهم عبيد ليزيد، ومن أبى ضرب عنقه. [35] فيقال أن م سلم بن عقبة قد أحضر مدبري الفتن وا ستعر ضهم، وطلب إليهم أن يبايعوه على أنهم خول ليزيد، ويحكم في أهلهم ودمائهم وأموالهم ما يشـــاء، فلم يقبلوا بأن يبايعوا هذه البيعة فقتلهم، وكان يزيد أن يقضـــي على فتنتهم بالصَـــغار، والحط من منزلتهم والتحقير من شأنهـــــــــــــــــــم، بحيث يعتبـــرون عبيـــــــــــــــــــــداً، هم وما يملكون. [36]

([30]) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص117.

([31]) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1995 م، ج5، ص34.

([32]) المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص69، ص70.

([33]) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج1، ص181.

– الدينوري، أبو حنيفة، المصدر السابق، ص392.

([34]) ابن الطقطقا، محمد بن علي ، المصدر السابق، ص116.

([35]) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص118.

([36]) العش، يوسف، الدولة الأموية، ط3، دار الفكر، دمشق – سوريا، 1985م، ص176.

المبحث الثالث: أحداث بلاد المغرب في عصر الولاة وأثر وقعة الحرة في هزيمة العرب أمام البربر:

لقد أثارت وقعة الحرة وما ارتكب فيها من مذابح في حواضـــر الحجاز موجة عارمة من الاستياء والغضب لم ينسَها أهل المدينة، حيث مرت سنوات طويلة على هذه المأساة دون أن تمحى من ذاكرتهم. وكانت بلاد المغرب قد فتحت كلها في عهد الوليد بن عبد الملك واســتقر فيها من أجناد العرب عناصـــر معظمها فهرية من قريش ويمنية من الأنصـــار حيث عرفوا بالبلديين، فقد اعتبروا أنفســهم من أهل البلاد، وكانوا لا يحملون للشـــاميين ســوى الكراهية والبغ ضاء، فقد ارتبطوا في أذهانهم بالغدر والقتل و سفك الدماء، فكانت وقعة الحرة ما تزال ماثلة في مخيلاتهم، وكان من يتولى المغرب عمالاً من قبل الخلافة الأموية كل همهم إر ضاء الخليفة الأموي بالهدايا بمختلف أنواعها على حساب أهل البلاد، وساءت سيرتهم في أهل البلاد الأصليين وهم البربر، وبالغوا في التعسف معهم، [37] ومن هؤلاء العمال عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي الذي تعدى في الصـــدقات والعشـــر، وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين؛ وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام، فكان فعلهم الذميم ســـبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد. [38] وكان الخليفة هشام بن عبد الملك يستحب طرائف المغرب ويكتب إلى عامله بطنجة أن يرسل إليه الأردية العســلية الألوان، فكانوا يتغالبون في جمعهم ذلك وانتحاله، حتى كانت الهرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العســلية من ســـخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلى الواحد وما قرب منه، فكثر عبثهم بذلك في أموال البربر وجورهم عليهم، [39] وبهذا العبث كانت نفوس البربر تغلي لهذه المظالم في الوقت الذي انقسم فيه العرب إلى عصبيتين يمنية وقيسية، وأثناء ذلك، كثر وفود الخوارج إلى بلاد المغرب عن مركز الخلافة، وتســـللوا بين البربر، وأخذوا يبثون تعاليمهم بينهم، مستغلين الخصومات القائمة بين العصبيتين اليمنية والقيسية واشتغال

([37]) سالم، السيد عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص341.

([38]) ابن عذاري، المراكشي، البيان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمَغرب، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت – لبنان، 1983، ج1، ص52.

([39]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، 1958، ج6، ص240.

الولاة بهذه المنازعات، واقتنع البربر بهذه التعاليم المنادية بالمساواة بينهم وبين العرب، وفتحوا للخوارج صدورهم واحتضنوهم، إلا أن البربر لم يشعلوا ثورتهم إلا بعدما يأسوا من مقابلة الخليفة هشـــام بن عبد الملك يشـــكون مظلمتهم، فقرروا إعلان ثورتهم على عامل الخليفة في المغرب، [40] وظهر لهم رئيس يعرف بميســـرة المطغري أو المدغري، [41] ويلقب بالفقير أو بالحقير، [42] ونصب نفسه إماماً وتسمى بالخلافة، والتف حوله البربر، واقتدى خوارج البربر بالخوارج الأزارقة وأهل النهروان أصحاب الراسبـــــــــــــــــي عبد الله بن وهب، فحلقوا الرؤوس، [43] كما انضم إليه الأفارقة في طنجة بزعامة عبد الأعلى بن جريج ، وبايعه البربر إماماً، وخاطبوه بأمير المؤمنين، وفشـــت مقالته في ســـائر القبائل بأفريقية. [44] وانتهز البربر الفرصة بقيادة زعيمه ميسرة وهي خروج القائد العربي حبيب بن أبي عبيدة الفهري على رأس حملة الى صقلية، وأشعلوا نار الثورة في المغرب الأقصى سنة 122 ه/ 739 م واستطاع ميسرة أن يهزم جيش الامويين في معركة حاسمة بأحواز طنجة وأن يبسط نفوذه على المغرب الأقصى. إلا أنه يبدو أن هذا النصر الذي أحرزه ميسرة قد دفعه إلى الغرور والتجبر فأنكرت البربر عليه سوء سيرته وتغيره عما كانوا بايعوه فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي، [45] واستطاع هذا القائد الجديد أن يهزم الجيوش العربية هزيمة شنعاء قتل فيها عدد كبير من أشراف العرب، وفرسانها وكماتها وأبطالها ؛ فسميت الغزوة غزوة الأشراف.

([40]) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د.طـــ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر، د.ت، ص214، ص218.

([41]) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن، فتوح مصر وأخبارها، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر، 1991 م، ص218.

– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص52.

([42]) مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1992م، ص151.

([43]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص53.

– سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان،1988م، ص154.

([44]) السيد، عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص218.

([45]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص53.

– ابن الحكم، المصدر السابق، ص218.

[46] وكان لهذا الانتصـــار صـــدى واســـع في الأندلس فرأى عبد الملك بن قطن الفهري أمير قرطبة الســـابق الذي كان حاضـــر موقعة الحرة في المدينة ونجى منها فيعتبر من العرب البلديين، منا سبة يتحرر فيها من سلطان والى القيروان ويسترد حكمه فانقض على العا صمة وا ستعاد لنف سه ولاية الأندلس. [47] وكذلك في القيروان ثار العرب البلديون على عبد الله بن الحبحاب وعزلوه في جمادى الآخرة 123 ه/ أبريل 741 م، ثم أر سل الخليفة ه شام بن عبد الملك يستدعيه. [48] وغضب الخليفة هشام بن عبد الملك لهذه الهزائم المتكررة لجيو شه وقال: "**والله لأغ ضبن لهم غ ضبة عربية ولابعثن لهم جي شاً أوله عندهم وآخره عندي**" [49] فصدر قرار بعزل عبد الله بن الحبحاب وتعيين كلثوم بن عياض القـ شري وكان من غلاة القي سية في جمادى الآخرة 123 ه، وكان يحمل شعوراً إقليمياً من خلال عصبيته الشامية، وكانت المهمة الرئيســـية التي ألقيت على كاهل الوالي الجديد هي القضـــاء على ثورة البربر بأي ثمن. فجاء على رأس جيش كبير بلغت عدته ثلاثين ألفاً، غالبيتهم المطلقة من المقاتلين الشـــاميين، [50] وكان من بين قادته ابن أخيه بلج بن بـ شير القـ شري وثعلبة بن سلامة العاملي، حيث كان بلج قائداً للمقدمة وأراد كلثوم بن عياض اختـ صار الطريق إلى المهمة المكلف بها، فلم يعرج على عا صمته، بل عين عليها نائباً له هو عبد الرحمن بن عقبة الغفاري، متابعاً سيره بقواته التي تعززت كثيراً باتـ جاه طنـ جة. غير أن الجبـ هة الأمو ية لم تكن مو حدة الاتـ جاه، بين العرب الـ شاميين والعرب البلديين أي الحجازيين و سبب ذلك أن عرب الحجاز كانوا ناقمين على بني أمية وأنـ صارهم عرب الـ شام لأنهم ا ستباحوا بلادهم الحجاز وقتلوا منهم خلقاً كثيرا في موقعة

([46]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص54.
– ابن الحكم، المصدر السابق، ص218.
([47]) نعنعي، عبد المجيد، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د.ت، ص110.
– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص54
([48]) مؤنس حسين، المرجع السابق، ص152.
– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص54.
([49]) ابن عذاري، المصدر نفسة، ج1، ص54.
([50]) ابن الحكم، المصدر السابق، ص218.
– بيضون، إبراهيم، الدولة العربية في أسبانية، ط3، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1986م، ص111.

الحرة، شرق المدينة المنورة، كما ذكرنا، ونتيجة لهذه الا ضطهادات ترك الحجازيون بلادهم وهاجروا إلى المغرب طلباً للغزو وذ شر الإ سلام مع أولئك الأمراء الذين ولوا على المغرب أمثال حسان بن النعمان، وموسى بن نصير، لعلهم يجدون في تلك البلاد مستقراً ومقاماً بعيداً عن الأمويين وخلفائهم الـ شاميين، وبالفعل ا ستقر جزء منهم في المغرب، كما ا ستقر الجزء الآخر في الأندلس، واختلطوا بأهالي البلاد الأصـــليين حتى أنهم عرفوا باســـم "**البلديون**" كما ذكرنا، بمعنى أنهم صاروا من أهل البلاد. ومن الطبيعي أن يثير قدوم جيش كلثوم بن عياض الحجازيين أو البلديين الذين خ شوا من أن يحاول هؤلاء الجنود م شاركتهم في الأرا ضي التي ا ستقروا فيها. [51] وكذلك الذي زاد الأمر سوءًا في توحيد الجبهة العربية سخرية أهل الـ شام من البلديين عندما قدم بلج بن بـشير يخاطب العرب البلديين وقال لهم با ستعلاء وغطر سة: "**لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم**" وكذلك كلام كثير قصد به أن يغيظهم به، وأثار فعلاً غ ضبهم ونقمتهم عليه حيث كتبوا إلى قائدهم حبيب بن أبي عبدة، وهو على وادي شلف قريب من تلمسان وأعلموه بذلك، فغضب حبيب لهذه الإهانات، وكتب إلى كلثوم يتهدده، ويقال أن الأمر وصل إلى نشوب القتال بين الجانبين قبل أن يلقوا البربر، ولم يتمكن كلثوم من إقرار الصلح إلا بعد جهد كبير، فتصافى الفريقان، واتحدا فيما بينهما للقاء العدو المشترك. ولكن هذا الـ صفاء لم يكن إلا ستاراً زائفاً يخفي تحته ما كان قائماً بالفعل بينهما من انق سام وتغاير. [52] حيث كان هذا الاختلاف سبب هلاكهم مع سوء رأي كلثوم وبلج. [53]

وهكذا ســـارت الحملة الأموية بجناحيها الشـــامي والأفريقي أي البلديين، لإخضـــاع ثورة البربر في طنجة، دون أن تغيب الحـسا سيات حتى في أحلك الظروف، مما جعلها متعثرة فاقدة التنظيم على الرغم من كثافة العدد. وســـرعان ما ظهرت النتائج الســـلبية عند قرية بقدورة الواقعة على نهر ســـبو (ســـبيبة) حين بدأت المعركة بين البربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي وبين العرب بقيادة كلثوم بن عياض القشيري، أسفرت عن هزيمة كبرى للجيش الأموي ومقتل

([51]) العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د.ت، ص87.

([52]) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب، ص223.

([53]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص55.

قائده وعدد كبير من قادته ومســـاعديه، بينهم زعيم البلديين حبيب بن أبي عبده الفهري، [54] بينما نجى بلج بن بشير بفرقة من الجند تقدر بسبعة آلاف نفر إلى ثغر سبتة وتحصن بها على ساحل المتوسط فكانت خسارة العرب جسيمة، فاقت هزيمته في موقعة الأشراف، حيث فقدوا أكثر من نصـــف قواتهم بين قتيل وأســـير، نتيجة لغياب الانســـجام بين عناصـــرهم المقاتلة وافتقارهم إلى التنظيم والموقف الموحد. [55]

و بذ لك انتزع البربر ز مام الموقف من أ يدي العرب، ف طاردت قواتهم فلول العرب المعتصمين في سبتة، وفر ضت عليهم حصاراً شديداً، ولكن بلج ثبت في الدفاع عن موقعه، دون أن يتمكن البربر من اختراق الحصـــار ودون أن ينجح بدوره في الإفلات منه. [56] حتى ساءت حالهم وكادوا يهلكون جوعاً.

وا ستنجد بلج بن بـ شير بعرب الأندلس كي يـ سمحوا له ولأ صحابه بالعبور إليهم، ولكنهم رفضـــوا لأنهم كانوا أيضـــاً من عرب الحجاز كما كان أميرهم في ذلك ا لوقت عبد الملك بن قطن الفهري من أهالي المدينة المنورة الذين شاركوا في وقعة الحرة وقا سوا أهوالها، ولهذا رفض بأن يـسمح لهم بالعبور بل ورفض إمدادهم بالطعام كي يموتوا جوعاً. [57] ويقال أن هذا الأمر كان بمشورة من عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي فر إلى الأندلس ونزل بقرطبة على عبد الملك بن قطن وخوفه من غدرهم. [58] وربما لل شعور بالحقد على ال شاميين كان ال سبب الرئيسي في رفضه مساعدتهم. غير أن الظروف سرعان ما تغيرت عندما علم بربر الأندلس بانتصـــار إخوانهم في المغرب على جيوش العرب، ثاروا بدورهم على عرب الأندلس ولما تحرج موقف عبد الملك بن قطن بثورة بربر الأندلس، أخرج إليهم جيوشـــاً هزموها، وقتلوا

([54]) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص220.

([55]) بيضون، إبراهيم، المرجع السابق، ص112، ص113.

– الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر، 1994م، ج1، ص160.

([56]) بيضون، إبراهيم، المرجع السابق، ص113.

([57]) العبادي، أحمد مختار، المرجع السابق، ص88.

([58]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص56.

– سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب، ص229، 230.

العرب في الآفاق. فخاف أن يكون مصير عرب الأندلس نفس مصير عرب المغرب، فاضطر إلى الاستعانة بالشاميين المحاصرين في سبتة، [59] فعرض عليهم المرور إلى الأندلس بشرط أن يشتركوا معه في إخماد ثورات البربر ثم يعودوا ثانية إلى المغرب بمجرد انتهائهم من هذه المهمة التي حددت بمدة سنة، فلم يتردد الشاميون في قبول العرض مع الشروط التي وضعها عبد الملك بن قطن، فبعث إليهم السفن، وأدخلهم الخضراء، وفي تلك الأثناء وحد البربر صفوفهم في الأندلس وقسموا أنفسهم إلى ثلاثة جيوش: جيش يهاجم طليطلة، وجيش ثان يهاجم قرطبة، والجيش الثالث يتجه جنوباً للقضاء على قوة الشاميين في سبتة والاتصال بإخوانهم بربر المغرب. [60] إلا أن عرب الأندلس والشاميين قد توحدوا وتصدوا للبربر الذين تجمعوا في حشود ضخمة عند بلدة شدونة فانتصر عليهم بلج بن بشر وشتت شملهم، حيث تجلت في هذه المعركة روح التعاون والتنسيق في صفوف العرب، أضاعت عليهم كل الآمال في تحقيق عون خارجي لثورتهم، بينما خرج الشاميون من المعركة بروح عالية، بعد أن أظهروا من الشجاعة ما يثير الإعجاب. [61] ومن هناك سار العرب جميعاً (الشاميين والبلديين) لإنقاذ العاصمة قرطبة التي كان يحاصرها الجيش الثاني فهزموا الجيش البربري الثاني وتابعوا مسارهم نحو مدينة طليطلة، وفي تلك الأثناء كانت القوات العربية الموحدة تتابع مهماتها في القضاء على ما تبقى من جيوب الثورة إلى مشارف طليطلة التي كان البربر قد حشدوا حولها جل إمكانياتهم وألقوا عليها حصاراً استمر لمدة سبعة وعشرين يوماً. وعلى مقربة منها في وادي السليط عند ضفة نهر التاج التقت جموع الفريقين في معركة طاحنة انتصر فيها العرب على البربر وقتلوا الآلاف من البربر. [62] ثم عادوا إلى قرطبة. وهناك طالبهم ابن قطن بالوفاء بما شارطهم عليه، وهو الخروج إرسالا إلى أفريقيا من الجزيرة الخضراء، ولكنهم اعترضوا على ذلك، فقد استطاب لهم البقاء في هذه البلاد التي كان لهم الدور الكبير في إنقاذها. وفعلت الحساسيات فعلها لدى الفريقين، حيث الكراهية متبادلة والحقد متوارث محموم.

([59]) العبادي، أحمد مختار، المرجع السابق، ص88.
– سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب، ص230.
([60]) العبادي، أحمد مختار، المرجع السابق، ص88، ص89.
([61]) بيضون، إبراهيم، المرجع السابق، ص119.
([62]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص31.

وتكتل الزعماء المحليون حول عبد الملك بن قطن، رافضين التعايش مع هؤلاء الشاميين الذين يعتبرونهم دخلاء.

وكان لا بد من حسم الموقف، فانتفض الشاميون بسرعة وهاجموا قصر الإمارة في قرطبة. [63] وأخرجوا عبد الملك بن قطن من قصره، وأقاموا على الإمارة بلج بن بشير في أول ذي القعدة سنة 125 هـ/743 م، أما ابن قطن فنزل داره، ونتيجة سيطرة الشاميين على الحكم حدثت فوضى في الأندلس، مما أمسك والي الجزيرة الخضراء عن إمداد رهائن الشاميين بالطعام والشراب مما أدى إلى وفاة أحد الرهائن وهو رجل غساني من أشراف الشام، واتهم عرب الشام ابن قطن بأنه قد تسبب في موته، فثار عرب اليمن لموت الغساني، وطالبوا بلجاً بأن يسلم لهم ابن قطن ليقتلوه فحاول أن يردهم، ولكن اتهموه بأنه يحمي مضراً فخاف أن تتفرق كلمتهم ، فأمر بإخراجه من داره، فأخرجوه وهو شيخ كبير تجاوز التسعين، [64] وهم ينادونه: "**أفلتَّ من سيوفنا بدم الحرة؛ فطلبتنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود! ثم أردتَ إخراجنا إلى القتل**" ثم قتلوه، وصلبوه، وصلبوا خنزيراً عن يمينه، وكلباً عن شماله. [65]

وأثار مقتل عبد الملك بن قطن موجة من الغضب في الاندلس، واتحد العرب البلديون بقيادة قطن وأمية ابني عبد الملك بن قطن مع البربر الذين كانوا يتلهفون لنيل ثأرهم من أهل الشام، وانضم إليهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي عامل عبد الملك في أربونة، وعبد الرحمن بن حبيب الذي كان طامعاً في الظفر بإمارة الأندلس، والتقى هذا الجيش مع جيش الشاميين الذي هو أقل منهم عدداً في موضع يقال له أقوة برطورة، وانتهت الموقعة بهزيمة البلديين من العرب والبربر وانتصار الشاميين، وقتل بلج ابن بشير في هذه الموقعة، فخلفه ثعلبة بن سلامة العاملي، [66] الذي عاد إلى قرطبة وهو يجر وراءه ما يزيد على عشرة آلاف من الأسرى والسبي، [67] واختاروه حاكماً على الأندلس غير أن الأمور لم تتحسن وبدأت

([63]) بيضون، إبراهيم، المرجع السابق، ص121.
([64]) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب، ص231، ص232.
([65]) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص32.
([66]) سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب، ص232.
– نعنعي، عبد المجيد، المرجع السابق، ص120.
([67]) سالم، السيد عبد العزيز، بحوث إسلامية، ج1، ص349.

قرطبة تعاني الفوضى ويسودها الإرهاب، [68] وأمام هذه الأخبار التي وصلت الخليفة هشام بن عبد الملك الذي أدرك أبعادها الحقيقية وتخوف من امتداد آثارها إلى مناطق أخرى وكذلك الأصوات التي يرفعها إليه بعض عقال الأندلسيين تشكو إليه الممارسات القمعية والمتسمة بالحزبية الضيقة التي يمارسها ثعلبة بن سلامة حيث كان رجلاً قوياً حازماً، حاول تهدئة الخواطر والسيطرة على الأحقاد والغرائز لإعادة الأمور إلى نصابها، ولمعالجة هذه الأوضاع انتدب الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة 125 هـ/743 م أبا الخطار بن ضرار الكلبي، والياً من قبله على الأندلس يرضى به الشاميون لأنه من وجهاء بلاد الشام ولا يعترض عليه البلديون لأنه من وجهاء ومقدمي اليمنيين. [69]

عالج أبو الخطار مشاكل الأندلس، بحزم وقوة، وأيضاً بحكمة وروية، فأمر بإطلاق الأسرى والسبي، فسمي عسكره لذلك بعسكر العافية، كذلك عمد على اجتثاث أصول الفتنة، فأمر بإخراج ثعلبة ابن سلامة، والوقاص بن عبد العزيز، وعثمان بن أبي نسعة من الأندلس إلى طنجة ومعهم عشرة من قواد الشاميين باعتبارهم سادة الفتنة. ثم طالبه البلديون بإخراج الشاميين [70] ولكنه أدرك أنه لا يستطيع أن يعيد الشاميين إلى المغرب لما قد يتهددهم هناك من أخطار إلا أنه قام بتوزيع جنود الشام على مختلف الكور أو الولايات الأندلسية ليحد من شوكتهم. وقد حرص أبو الخطار في هذا التوزيع على أن تكون الأمكنة التي ينزلون فيها مشابهة إلى حد كبير بالأماكن التي جاءوا منها في الشرق، فأهل حمص مثلاً أنزلهم مدينة أشبيلية وسماها حمص، وأهل دمشق أنزلهم غرناطة وسماها دمشق، وأهل الأردن أنزلهم مالقة وسماها الأردن، وأهل مصر أنزلهم تدمير (مرسية) وسماها مصر أي على هيئة إقطاعات عسكرية، أي كل قبيلة تجني غلتها في تلك الناحية وتأخذ عطاءها منها والزيادة لبيت المال، [71] أي يؤدوا ثلثي خراجها دون أن تتدخل الإدارة المحلية في شؤونهم أو في شؤون الإقليم.

([68]) بيضون، إبراهيم، المرجع السابق، ص124، ص126.
([69]) نعنعي، عبد المجيد، المرجع السابق، ص120.
([70]) سالم، السيد عبد العزيز، بحوث إسلامية، ج1، ص349.
([71]) العبادي، أحمد مختار، المرجع السابق، ص89.

النتائج:

توصلت الدراسة إلى بعض النتائج من خلال الأهداف التي سعت الدراسة للوصول إليها من أهمها:

1- أن النظام الوراثي :ان أحد أسباب الصراع على السلطة بين الحجازيين والأمويين لأنه خالف النهج الراشدي وطبيعة الخلافة.

2- أن خروج أهل المدينة على يزيد بن معاوية أو على النظام الأموي كان لأسباب سياسية واجتماعية، فمن الناحية السياسية كان طموح بعض أبناء الصحابة إلى الخلافة، وأما من الناحية الاجتماعية فإن انتقال مركز الخلافة من المدينة إلى دمشق قد أفقد المدينة مكانتها المركزية في العالمة الإسلامي، وأفقد أغنياء الحجاز منافع كثيرة كانوا يجنونها.

3- ومن النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة هو خروج الكثير من أهل الحجاز بعد وقعة الحرة إلى بلاد المغرب والاستقرار فيه بعيداً عن ظلم بني أمية وقد عُرفوا بين السكان الأصليين بالبلديين.

4- كان من أثر وقعة الحرة هو هزية العرب أما البربر في بلاد المغرب نتيجة لعدم الانسجام بين العرب البلديين والأمويين ومن معهم من أهل الشام القادمين إلى القضاء على المعارضة البربرية في بلاد المغرب.

التوصيات:

نصل إلى عرض بعض التوصيات والمقترحات المتمثلة في:

1- إعادة دراسة هذا الموضوع بشكل أكثر شمولية وتعمق حتى تتضح الصورة عن هذه الأحداث.

2- من خلال الدراسة يتضح دور العرب الذين أطلق عليهم اسم البلديين، واقترح دراسة مستفيضة عنهم من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وأثرهم على السكان الأصليين لبلاد المغرب.

3- الاهتمام بالجانب الاجتماعي في دراسة مثل هذه المواضيع.

الخاتمة:

وختاماً لبحثنا فإن لوقعة الحرة في المدينة أ صداء قوية ترددت في المغرب والأندلس بعد ما يقرب من ستين سنة على وقوعها، وتتمثل هذه الأ صداء في ذ شوب ال صراع ال شديد بين العرب أنف سهم بلديين و شاميين في المغرب والأندلس، وفي الهزيمة الكبيرة التي تعرض لها العرب في بقدورة ونتائجها الخطيرة التي انتهت بخروج المغرب الأوسط والأقصى وكذلك تتمثل في تحول هذا ال صراع بين العرب ال شاميين والبلديين إلى صراع دام بين ال عصبتين اليمنية والقيسية الذي تمخض عن قيام دولة بني أمية في الأندلس، وكان من ضحايا ثارات الحرة عبد الملك بن قطن الفهري وبلج بن بشير القشيري. [72]

([72]) سالم، السيد عبد العزيز، بحوث إسلامية، ج1، ص350.